مجلد(03) –العدد(06)جوان 2017 issn2437-0703

أنموذج المعلم في تصور البشير الإبراهيمي

(ب)بن زينب شريف/ جامعة وهران2/ الجزائر
cherifbrnzineb@gmail.com

الملخص باللغة العربية:

تعتبر التربية من بين أهم المواضيع الأكثر حضورا عند المجتمعات لا اختلاف ثقافتها ومعتقداتها، حيث أن التربية تعمل على إعداد الفرد وتكوينه، ليكون ذو إضافة نوعية في مجتمعه، ولا تتأتى التربية الناجحة إلا من مشروع تربوي ملم بحاجات المتعلم وغايات المجتمع، و معلم كفء ذو تكوين نوعي وشخصية كريزمة مؤثرة في المتعلم، وهذا ما عمل البشير الإبراهيمي على توضيحه من خلال مؤلفاته التربوية.

الملخص باللغة الإنجليزية:

Education is among the most visible when no communities different

cultures and beliefs, so that education is preparing the individual and configured to be add quality in combined, successful education are not only an educational project with the needs of the learner and community goals, and qualified teacher with an impressive qualitative and krisimh character formation in the learner, this work of Bashir Brahimi explained through his writings.

كلمات مفتاحية: التربية؛ المعلم؛ المتعلم؛ المثقف؛ المدرسة؛ التعليم.

مدخل:

تحتل فلسفة التربية والاهتمام بالمعلم والمربي في أي مجتمع المكانة السامقة التي لا يختلف حولها اثنان. حيث تتخذ هذه الفلسفة من مبدأ التأكيد على مكانة الإنسان وحقه في الوجود، أساس وجودها، فهي تستثمر في هذا الموجود، فتعمد إلى استخدام النظريات والمناهج، والدراسات الحديثة مع استحضار كل محاولات سابقة، من أجل بناء شخصية الإنسان بصورة متوازنة، قادرة على إعطاء أنموذج الفرد الصالح، الذي يكون عنصر ايجابي وفعال في مجتمعه.

إن التربية التي نادت بها الشرائع، المنزلة منها أو الوضعية، وشغلت تفكير الفلاسفة والأدباء، ولا تزال تستحوذ على الدراسات الحديثة التي تجعل من الفرد رأس مالها، ومصدر استثمارها. ولا تقتصر التربية على فرد دون غيره، « *وكما يحتاج الفرد إلى تربية تحتاج الإنسانية أيضا إلى تربية. والتربية في جوهرها إذكاء للشعور و إظهار له* »[1]. لهذا فالهدف الذي تنشده التربية هو بناء الإنسان على الصعيدين، الروحي والمعرفي مع ضرورة تأكيد القولي بالعملي، فما فائدة معارف لا تتبلور في سلوكات عملية؟ كما تنبذ التربية كل تكديس أو حشو للمعارف، دون الاهتمام بالفضائل والأخلاق، ولا يتم هذا إلا بمنهج للتربية الصحيحة، تجعل من ثقافة الأمة وقيمها الدينية مصدر لها. وإذا نجحت التربية في بناء الإنسان الصالح والمواطن الغيور على مصلحة وطنه، تضمن به مكانة لها بين مصاف الأمم. فالتربية هي « جميع العمليات التي يتمّ بواسطتها تنمية قدرات الشخص واتجاهاته وأشكال سلوكه الأخرى، وتنمية القيم الايجابية التي يؤكد عليها المجتمع الذي ينتمي إليه »[2]، أو بتعريف آخر هي:« مجموع عمليات الحياة الاجتماعية التي عن طريقها يتعلم الأفراد والجماعات داخل مجتمعاتهم الوطنية ولصالحها أن ينموا بوعي وفهم كافة قدراتهم الشخصية واتجاهاتهم واستعداداتهم، وهذه العملية لا تقتصر على أنشطة بعينها»[3].

والجزائر وبالرغم من وقوعها تحت نير الاستدمار الفرنسي، لم تكن بعيدة عما يدور حولها من تسارع علمي وحركية تعليمية، بل كانت جمعية العلماء المسلمين التي تأسست على يد الشيخ عبد الحميد ابن باديس(1889م- 1940م) ومحمد البشير الإبراهيمي (1889م-1965م) قد حملت على عاتقها تنوير المجتمع الجزائري، ومحاربة كل فكر رجعي كفيل بإطالة عمر الاستعمار، فلا تحرير لأرض بدون أي تتحرر للعقول، فإعداد أجيال متعلمة متنورة، متشبعة بالروح الوطنية والمبادئ الإسلامية، شرط أولي لكل ثورة تحررية. فلا تحرر بدون تربية.

الشّيخ محمّد البشير الإبراهيميّ رحمه الله، رائد من رواد الإصلاح في الجزائر، لم يكن مجرد شخصيةً عاديةً،عابرة في التاريخ الجزائري، بل كانت تحترق لما أصاب بني جلدتها، بل كان مجموعةً من المواهب والعبقريات. كان آيةً في علمه الواسع وأدبه الرّفيع وخُلقه النّبيل ودينه المتين وإخلاصه وسَعَةِ أُفق تفكيره وبُعد نظره، وإنكاره لذاته وتَفانيه في خدمة أمّته. كان غاية ما ينشده من الحياة، هو الدّفاع عن الإسلام الحقّ والنّهوض باللّغة العربيّة في هذا الوطن العزيز، وإعداد جيل من المتعلمين قادرين على حمل مشعل أسلافهم، للوصول بهذه الأمة إلى بر الأمان. جيل يعول عليه في زعزعة أوصال الاستدمار.

كان البشير الإبراهيمي مصلحًا دينيًّا واجتماعيًّا موفَّقًا، ومفكِّرًا حُرًّا جريئًا، كانت حياته بين التعلم والتعليم والتأليف والمحاضرة، والنصح والإرشاد، فجاءت حياته مشرقةً مملوءةً بجلائل الأعمال، تَجَلَّتْ فيها عبقريته، وبزغ من خلالها نجمه، وظهر نبوغه، وصدقت نظراته، وتحقَّقَتْ فراسته.

[1]– لسنج ، تربية الجنس البشري، ترجمة حسن حنفي، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية، 2006، ص121.

[2] – Dictionary of Education, New York, Carte Good (Ed), 1973,p202.

[3]– عمارة بن رمضان، صالح الطرابلسي، دليل المدرس في التربية على حقوق الإنسان، المعهد العربي لحقوق الإنسان، تونس، 2001، ص 20.

وقد نبخس الخطاب الإبراهيمي حقه إذا قصرناه على الجانب الديني الإصلاحي أو الفقهي الاجتهادي، أو ذلك اللسان العربي المبين، بل ما يتسم به هذا الخطاب احتوائه على نظر عقلي من حيث البرهنة والحجاج، والحكمة الفلسفية من حيث المعنى، فجاء هذا الخطاب متوازناً ذا تعادلية، تجمع بين الفلسفة والدين، دون إفراط أو تفريط[1].

ونحن من خلال هذه الورقة البحثية، نحاول عرض فكر البشير الإبراهيمي في إعداد المعلم الناجح، وما يحتله هذا الأخير في التفكير الإبراهيمي، فطرح لنا أنموذج المدرسة التي نحتاجها، فمن هو المعلم الناجح في فكر البشير ؟ وما هي الميكانيزمات التي تعتمد عليها المدرسة الجزائرية للإعداد نشء قادر على ربح التحديات المحلية والكونية؟

البشير الإبراهيمي: المثقف والتغيير

ينطلق البشر الإبراهيمي في نظرته للتغير، من تأمل عميق؛ وتحليل واقع الأمة، سواء في أصول البنية الثقافية والمعرفية للمجتمع الجزائري، أو لواقع الحال في تلك الظروف العصيبة من المرحلة التاريخية، أساس التغيير بقوله: « *لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم، فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب؛ إذا صلح، صلح الجسد كله وإذا فسد، فسد الجسد كله، وصلاح المسلمين إنما هو بفقههم الإسلام وعملهم به، وإنما يصل إليهم هذا على يد علمائهم، فإذا كان علماؤهم أهل جمود في العلم وابتداع في العمل فكذلك المسلمون ،،،فإذا أردنا إصلاح المسلمين فلنصلح علماءهم....ولن يصلح العلماء إلا إذا صلُح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته : لنفسه ولغيره؛ فإذا أردنا أن نُصلح العلماء فلنصلح التعليم، التعليم الذي يكون به المسلم عالما من علماء الإسلام يأخذ الناس عنه دينهم ويقتدون به فيه*»[2] ويضيف الشيخ البشير فيؤكد على أن: « من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب، وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية. فإذا استقام له ذلك، استقام له العمل وأمن الخطأ فيه، وضمن النجاح والتمام له. فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتجاهها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل »[3]، فكل محاولة تغيرية غير واعية بواقعها المعاش، أو آخذة بأسباب الرقي، فهي محاولة حملت في طياتها بذور فشلها المسبق، وهذا لكون رؤيتها محدودة. ولكن هذه العملية التغيرية تحتاج، لمتعلم مثقف واعي، يحمل روح المسؤولية، ومشعل التنوير، ولا يكون حامل هذا المشعل إلا المثقف و« المثقف هو الرجل المهذب المستنير الفكر المجوهر العقل المستقل الفكر في الحكم على الأشياء، الجاري في تفكيره على قواعد المنطق لا على أساس التخريف، المطلع على ما يمكن من شؤون العالم وتاريخه، الملم بجانب من معارف عصره »[4]، المثقف الحامل على عاتقه معالجة الوضع الفكري، والأخلاقي في ربوع الأمة الجزائرية، وهذا من أجل مواجهة قوى الغطرسة والاستبداد والجمود والتقليد، وتجاوز العقلية المغلقة. المثقف المتفتح

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام البشير الإبراهيمي" الجزء الثالث"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997، ص14.

[2] – ابن باديس، آثار الشيخ عبد الحميد ابن باديس ،" الجزء الرابع "، وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الجزائر، الطبعة الأولى، 1985، ص75.

[3] – الإمام البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، السنة 2، 1948.

[4] – آثار الإمام البشير الإبراهيمي" الجزء الثاني"، ص125.

على العلوم والتقنية والفلسفة، لا يرضى فقط بدراسة أدبية أو تكوين ديني منغلق، يحي في تراثه، أو خريج جامعي تكون في الطب أو الصيدلة، أو محامي فقط، بل نحن في حاجة « إلى واحداً تخصص في الفلسفة أو في علم النفس أو في الأخلاق أو في فلسفة الاجتماع والتشريع »[1] ، فالتنوع في الدراسات والأفكار والمواقف والانفتاح على باقي الحضارات الماضية والحاضرة ثقافياً واجتماعياً يمكن المثقف من تحقق جدلية العودة والتجاوز، جدلية تضمن فهم لأوضاع أمته بانقساماتها واختلافاتها، جدلية العودة للتراث قراءة وتمحيص واستيعاب، وتجاوز لواقع غير قادر على مواكبة حركية العالم من حوله، ومحاولة البحث عن تأصيل أنموذج حضاري لاستنهاض عوامل الصمود والدفاع عن الهوية والذات. وهذا التأسيس لأنموذج المثقف، يستلزم اعتراف وتقدير من أبناء الأمة الواحدة، فالمكانة التي يحوزها المثقف في الأمم الواعية، أنهم « خيارها وسادتها وقادتها وحراس عزها ومجدها. تقوم الأمة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير، و يقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير »[2] .

إن التفعيل الثقافي الذي ينشده الشيخ البشير يتطلب إصلاحا فعليا للمثقف قبل كل محاولة تغيرية، حيث أن هذا الأخير سيكون قدوة لغيره ومصدر إلهامه وعزَّابه، فإصلاح النفس ضروري أولا لإصلاح الغير، فلا صلاح للغير بدون صلاح المثقف[3]. يحتاج إصلاح نفس المثقف المقصود لشروط، فالمثقف الواعي هو المبصر لنقصه ورغبته في استكمال هذا النقص ولا يكون هذا إلا بـ:

- الابتعاد عن الغلو والاعتزاز بالنفس.
- محاولة التقريب في الرؤى والأفكار ومشاركتها مع الغير.
- الاعتماد على حوار الثقافات، ومحاولة الاستفادة من الثقافة الغربية.

كما يتوجب على المثقف الاختلاط بطبقات المجتمع، ويشاركها أمالها ألآمها، وفي هذا الصدد يقول الإمام البشير:« الامتزاج بالأمة والاختلاط بطبقاتها والتحبب إليها ومشاركتها في شؤونها الاجتماعية والدخول في مجتمعاتها ومعابدها ومشاركتها في عبادتها وفي الصالح من عوائدها، فبذلك تحصل الثقة منها وتنقاد لكل ما نريده منها، وبذلك يسهل على المثقف أداء واجبه على أكمل وجه، وثقة الأمة بالمثقفين هي رأس المال»[4].

ولكن من يكون هذا المثقف ؟ وكيف السبيل إلى ذلك ؟.

البشير الإبراهيمي و المعلم النموذجي:

[1] – المصدر السابق، ص 129.
[2] – المصدر نفسه، ص 126.
[3] – المصدر نفسه، ص128.
[4] – المصدر نفسه، ص129.

إن المشروع التربوي النهضوي الذي بشر به البشير الإبراهيمي، يتمفصل على الدور المهم للمعلم، هذا الأخير، الذي تقوم به العملية التربوية التعليمية. المعلم عند الإبراهيمي ملك قد تربع على عرش مملكة، رعيتها أبناء الأمة، منوط بمهمة إدارة نفوس الرعية على الدين، وترويض اللسان على اللغة العربية كوسيلة لاكتساب المعرفة الأولية فيكتب مخاطبا معشر المعلمين:« هاأنتم تربعتم من مدارسكم عروش الممالك، رعاياها أبناء الأمة وأفلاذ أكبادها، تديرون نفوسهم على الدين وحقائقه، وألسنتهم على اللسان العربي ودقائقه، وتسكبون في آذانهم نغمات العربية ... وتدبرون أرواحهم بالفضيلة والخلق المتين»[1]. ويلح الشيخ البشير الإبراهيمي على ضرورة تقديم التربية على التعليم فيقول :*« واحرصوا على أن تكون التربية قبل التعليم* »[2]، ويخاطبهم كذلك قائلا:« إنكم يا أبناءنا مناط آمالنا، ومستودع أمانينا، نُعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات وذو تكاليف، وننتظر منكم ما ينتظره المدلج في الظلام من تباشير الصبح»[3]، فالآمال التي تعلقها الأمة قاطبة على المعلم، لا تقتصر على فترة محددة بل هي كل المستقبل. ومهمة طالب العلم لن تكون سهلة المنال إلا أذا انقطع لطلب للعلم، والتبتل إليه تبتيلاً، مع الحرص على إنفاق الساعات والدقائق في التحصيل والمراجعة، مع ضرورة ملازمة العلماء والتنقيب في بطون الكتب، مع الحرص على المناظرة والمراجعة لتوضيح كل مبهم وتعميق كل جلي، وهذا لن يكون إلا بوصل الليل بالنهار. قد تكون العملية التعليمة سهلة، ولكن العملية التربوية أصعب مما يتصور المعلم، ومن الحقيقة غاية الطلبة والاهتمام بالأخلاق، فكل تقصير في غرس الأخلاق يقابله نقص في الفاعلية للفرد وخيبة الأمل حتى وإن كان طويل الباع في العلم.

ينظر المجتمع للمعلم بعين القداسة والريبة والترقب على حد سواء، حيث أن « العامة التي ائتمنتكم على تربية أبنائها تنظر إلى أعمالكم بالمرآة المكبرة، فالصغيرة من أعمالكم تعدها كبيرة ،والخافتة من أقوالكم تسمعها جهيرة، فاحذروا ثم احذروا »[4]، فالمعلم بما يحمله من قدسية للرسالة التربوية التعليمية، يبقى محط أنظار المجتمع، وهذا ما يفرض على المعلم أن يكون متقد الذكاء، ومراقب لكل شاردة وواردة من تصرفاته، دقيق الملاحظة، ويزن كل تصرفاته بالقسطاس السليم. كما يلح الشيخ البشير الإبراهيمي على ضرورة الحرص والقيام بالدور المنوط لكل واحد من المعلمين على أحسن وجه حيث، يكون كل معلم في مدرسته مجاهد في ساحة جهاد، جهاد الجهل والخرافة، حاملاً لواء التنوير للناشئة، لهذا يتوجب عليهم الحذر أن تؤتى الأمة من ثغرة يقوم على حراستها واحد من المعلمين، فبهذه الغفلة يجلب لنفسه وإخوانه العار و الهزيمة[5]. كما أن هذا المعلم الذي ينشده البشير الإبراهيمي لا يقتصر على ما تعلمه، ويتقوقع داخل منظومته التي اكتسبها خلال مراحل تعلمه، بل يكون مواكب لكل مستجد حيث

[1] – آثار الإمام البشير الإبراهيمي" الجزء الثالث "، ص 264
[2] – المصدر نفسه، ص264.
[3] – المصدر نفسه، ص201.
[4] – المصدر السابق، ص 265.
[5] – المصدر نفسه، ص 262.

أن « التعليم لأحدى طرق العلم للمعلم قبل المتعلم، إذا عرف كيف يصّرف مواهبه، وكيف يستزيد وكيف يستفيد، وكيف ينفذ من قضية من العلم إلى قضية ... اعرفوا كيف تدحضون من باب التعليم إلى العلم، ومن مدخل القراءة إلى الفهم، وتوسعوا في المطالعة يتسع الاطلاع، ولا يصدنكم الغرور عن أن يستفيد القاصر منك من الكامل، والكامل ممن هو أكمل منه »[1]، البشير الإبراهيمي بموقفه هذا، وكأنه يشير إلى نسبية تعلم كل متعلم، فرحلة المتعلم لا تقف عند شهادة أو وظيفة بل تفرض عليه مواكبة كل جديد والبحث عن الحقيقة المعرفة، بالاطلاع والمناقشة. ويضيف الشيخ البشير في نصح المعلمين بضرورة الاحتكاك بالأمم الأخرى والنهل من معارفها وهذا خدمة للأمة، ولا ضير في الاقتراب من الإستعمار والتعرف على حضارته وأساليبه فيكتب ناصحا المعلمين« انظروا للاستعمار، واعرفوا الطرق التي سلكها لقتل أمتكم فاسلكوا ضدها لإحيائها. وادرسوا الوسائل التي تذرع بها لاستعباد أمتكم فاستخرجوا منها وسائل تحريرها»[2] فمهمة المعلم لا تقتصر على التلقين وإعادة اجترار المناهج، بل لابد من النظر والتبصر في أحوال مجتمعه الذي يعيش فيه والاطلاع على أساليب الاستعمار واستثمارها في النهوض بالنشء.

يحتل المعلم من مجتمعه النقطة المركزية، فالمتعلمون ينظرون إليه كمعلم ومربي، والكبار يرونه كإمام ضليع بعلوم الدين، ومصدر للجميع القيم، وهذا ما يحذر منه البشير الإبراهيمي قائلاً :« أخشى أن تغيب عن بصائركم حقيقة ثابتة، وهي أنكم معلمون للصغار وأئمة للكبار، أولئك يأخذون من أخلاقكم وعلمكم وهؤلاء يأخذون من أخلاقكم »[3].

لهذا يتوجب على المعلم في نظر البشير الإبراهيمي أن لا ينظر إلى المجتمع كوحدة كلية، بل هو خليط من الأطياف والذهنيات المتعددة المشارب، والمعلم بحكم انتمائه العقائدي لمجتمعه، ليس من مصلحته الاستخفاف بالدين فهذا كفيل بتهوين عروة الدين في نفوس المتعلمين، وحتى وإن كان هذا الاستخفاف بمجرد فلتات اللسان، سيولد نفسيات مهزوزة مرتابة في دين أبائها، ما ينجر عنه تشكشك حتى في الهوية [4]. فالمعلم لا يكون في نظر الشيخ البشير مجرد آلة تقوم بوظيفتها حسب برمجتها، بل يجب على المعلم أن يكون واعياً بحمل الأمانة التعليمية المنوطة به، فلا يغفل الجانب الأخلاقي من عمليته التعليمية[5].

[1] – المصدر نفسه، ص268.
[2] – آثار الإمام البشير الإبراهيمي" الجزء الثاني "، ص116.
[3] – المصدر نفسه، ص 268.
[4] – المصدر نفسه، ص271.
[5] – آثار الإمام البشير الإبراهيمي" الجزء الثالث "، ص269.

المعلم مع متعلميه:

إن النشء هو ذخر الأمة وخزانها البشري الذي لا ينضب، لهذا أخذ الحظ الأوفر من تفكير الشيخ البشير وعليه، فيتوجب على المعلمين أن « يربوهم على استخدام المواهب من عقل وفكر وذهن، وعلى صدق التصور وصحة الإدراك ودقة الملاحظة والوقوف عند حدود الواقع»[1]، وهذه العملية التوجيهية، تتطلب من المعلم اطلاع على فلسفات تربوية تمكنه من بناء عقلية المتعلم من خلال تصورات سليمة، وفق عملية إدراكية منطقية، كما أن المتعلم يدخلان في عملية حوارية، بعيدا عن كل أحكام مسبقة عن كون هذا المتعلم غير قادر على اكتساب مواهب أو تطوير قدراته، وهذا ما توصل إليه علم النفس التربوي الحديث من ضرورة إشراك المتعلم في العملية التعليمية التعلمية، فالعملية التلقينية غير كفيلة ببناء نشء يثق في قدراته ومواهبه، لهذا يركز البشير الإبراهيمي على ضرورة تبيان الحقائق للمتعلمين، ربط الأشباه بالأشباه، وجمع النظائر إلى النظائر، مع ضرورة تعليمهم كيفية اكتشاف العلل والأسباب، وغاية كل هذا هو تثبيت في نفوس المتعلمين ملكة التعليل. وينبه الإبراهيمي إلى المسؤولية الخطيرة التي يتحملها المعلم، فهو المسؤول الأول عن النمو الفكري والتهذيب النفسي للنشء وهو الذين يتحمل كل زيغ عقائدي أو فكري يصيب أبناء الأمة، فموقع المعلم في المجتمع خطير لا يجوز فيه التقصير أو الخطأ، والخطأ عند المعلم لا يغتفر لأن الخطأ الذي يقع فيه المعلم لا يقتصر على فرد واحد، بل قد يتعدى الأثر إلى جيلا بأكمله.

يقول الإبراهيمي:« إن التقصير في الواجب يعد جريمة من جميع الناس، ولكنا في حقنا يضاعف مرتين، فيعد جريمتين، لأن المقصر في غيرنا لا يعدم جابرا أو عاذرا، فقد يغطي تقصيره عمل قومه، أو حكومته.. أما نحن فحالنا حال اليتيم الضائع الجائع، إذا لم يسع بنفسه مات، فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينفع أمتنا ويرفعا فمن ذا يعمل لها؟..»[2].

كما يستوجب على المعلم الناجح أن يمارس الطرق التحفيزية بعيدا عن كل ترهيب، فالقسوة و « الإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق، وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتبغض إليهم القراءة والعلم وكل ذلك معدود في جنايات المعلمين الجاهلين بأصول التربية »[3] فالعملية التعليمية المقتصرة على العنف والقسوة، لا تولد إلا نشء مهزوز النفسيات، نشء منطوي، يرغب في التمرد بدل البحث عن المعرفة، بل هذه الممارسة قد تدفع بالمتعلمين إلى الانقطاع عن المدرسة وبناء تصور سلبي عن المدرسة والمعلم، كمكان للتعذيب، بدل التنوير.

يركز البشير الإبراهيمي اهتمامه على المرحلة الابتدائية، لما تتميز بها من خصوصية وأهمية كبيرة في مراحل التعليم، وهذا لكون طلاب هذه المرحلة، ذو خصوصية، ونفسياتهم حساسة جداً لهذا يتوجب علينا التعامل معهم بكل رفق، ولهذا يتوجب على المعلم أن يدرس « ميول الأطفال

[1] – المصدر نفسه، ص272.
[2] – آثار الإمام البشير الإبراهيمي" الجزء الثالث"، صفحة263.
[3] – المصدر نفسه، ص113.

بالاختلاط بهم ، وليكن بينهم كأخ كبير لهم يفيض عليهم عطفه، ويوزع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه ... إن درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها، ومن غرس أضدادها من الفضائل في نفوسهم. وإن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلاً...ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحاً.»[1]، وعلى المعلم أن يحسن معاملة تلاميذه منذ البداية فيستقبلهم« بالبشاشة والشرح، ...وأن يحملهم على طاعته وامتثال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحبب إليهم، ويقابلهم بوجه متهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسألهم عن أحوالهم باهتمام، ويضاحكهم، ويحادثهم بلطف وبشاشة، وييسط لهم الآمال، ويظهر لهم من العطف والمحبة ما يحملهم على محبته، فإذا أحبوه أطاعوه وامتثلوا أمره»[2] وبهذه اللغة الحوارية والعملية التواصلية بين المعلم والمتعلمين، والعملية الترغيبية التحفيزية تولد لدى المتعلمين القابلية للتعلم والاستقامة والتحلي بالفضائل وحسن الشمائل، فالمتعلم لا يستطيع التعلم إذا فقد الرغبة فيه، بسبب سوء معاملة المعلم له، لهذا يتوجب على المعلم أن يحبب العلم والمدرسة بأساليب تحفيزية تمكنه من استقطاب المتعلمين. فالمعلم الناجح عند البشير الإبراهيمي، هو القادر على تفهم التركيبة الذهنية عند الأطفال لاستخراج كل سلوك فاسد، وتغيره بسلوك صالح، ولا يبلغ هذه الغاية إلا المعلم المطلع على الدراسات النفسية السلوكية الخاصة بالطفل،فالعملية التربوية لابد أن تكون تنويرية عقلانية، تؤسس لخطاب عقلاني أساسه النقد والحرية والتسامح والمساواة، كما يحذر الشيخ من اعتماد طرق الترهيب، خاصة الطريقة التي كانت شائعة بين معلمي القرآن وهي طريقة العنف والقسوة والترهيب، فإن هذه الطريقة وشاكلتها هي التي« أفسدت هذا الجيل وغرست فيه رذائل مهلكة. إن القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق، وتغرس فيهم الجبن والخوف، وتبغض إليهم القراءة والعلم.»[3] ومرد هذه النتائج السلبية إلى جهل المعلمين بأصول التربية، والاطلاع على أساليب التدريس.فالتربية الحديثة تنفر كل النفور من أساليب الترهيب والقسوة، أساليب تزعزع مكانة المؤسسة التربوية في نفوس النشء؛ فالمعالم لابد له من أن يتيقن من أن المتعلمين ذوي نفوس ضعيفة وغرائز ناقصة وكل إهمال من المربي يزيد هذه النفوس نقص وانحرافاً، لهذا يتوجب على المعلم أن يكون مثل الطبيب الذي يشخص الداء ويصف الدواء الناجع. ومن النقائص التي يتصف بها المتعلمين « الخوف والغضب والحسد وسرعة التأثر والانفعال وسرعة التصديق بكل شيء وإفشاء كل ما تسمعه آذانهم وتراه أعينهم»[4].

وهذه النقائص إن كانت وليدة طبع المتعلم، فلا ننسى دو الأم في إرساء أسس هذا الخوف بأوهام، تغرسها في نفسية المتعلم بغية اللجوء إليها لتسكن حدته، بدون أن تعلم أنها تغرس الخوف والخرافة في نفسية وليدها. لهذا يتوجب على المعلم أن « *يجتث هذا الغرس الخبيث من نفوسهم بتقوية الإرادة فيهم وبتنمية الحقائق في أذهانهم، ودواوا كل نقيصة من تلك النقائص بتقوية ضدها في نفوسهم، وببيان أضرارها بالتصور العملي على*

[1] – المصدر السابق، نفس صفحة.
[2] – المصدر نفسه، ص112.
[3] – المصدر نفسه، ص113.
[4] – المصدر نفسه، ص114.

قدر مل تحتمله عقولهم»[1]، لهذا فمهمة المعلم غرس الرجولة والشكيمة وقوة العزيمة والصبر والشجاعة في نفوس المتعلمين، كما يجب عليه أن يحبب لهم الدين والعلم والوطن والأسرة والمعلم. فالمهمة النبيلة التي يقدمها المعلم المخلص لأمته هي التعليم والتربية الصالحة، فهما سلم الحياة وإكسير السعادة.

واجب المعلم اتجاه المتعلمين:

- الاعتماد على أسلوب الترغيب لا الترهيب.
- إصلاح نزعات المتعلمين بأيسر الطرق وأنجعها.
- حملهم على طاعته بأسهل الوسائل.
- ضرورة استقبال المتعلمين بالبشاشة وطلاقة الوجه.
- عدم الترفع على إلقاء التحية أو الرد بأحسن منها.
- مخالطة المتعلمين والإحاطة بحالاتهم الأسرية والاجتماعية بالمسائلة.
- المعاملة بالرفق واللطف.[2]

ومن خلال ما سبق عرضه لوجهة نظر الشيخ البشير الإبراهيمي اتجاه المعلم الكفء، يمكننا أن نستخلص الصفات التي يجب أن يتصف بها المعلم :

- التحلي بالقوة والإخلاص في العمل لله تعالى .
- الكد والنشاط في تحصيل العلم .
- المثابرة وتحدي العقبات خلال التعلم .
- ضرورة تقديم المصلحة العامة عن المصلحة الخاصة.
- الاتصاف بالفضائل والشخصية القوية.
- مواكبة الحركية العلمية من خلال المطالعة والمناقشة.
- توظيف الطرق العلمية الحديثة في التدريس.
- الإلمام بعلوم اللغة العربية .

[1] – المصدر نفسه، ص 114

[2] – المرجع نفسه، ص ص 112.113

- الإطلاع على ما توصل إليه الغرب.
- الحرص والابتعاد عن اللامبالاة في التدريس.
- ترغيب التلاميذ في التعلم.
- غرس الفضائل والأخلاق في نفوس النشء الصاعد.

حقوق المعلم على غيره:

وإذا كان المعلم حامل لواء العلم ومشعل التنوير، فهو يعيش في مجتمع، يحتاج كغيره لحاجيات وضروريات تمكنه من الاستمرار في عمليته التعليمية التنويرية، يشقى ويتعب في الشتاء، وينصف في الصيف ويضحى، ويكابد ضنك العيش وضيقه، وغدر الدهر وتقلباته، مع افتقاده للحافز من طرف الولاة، وفقدانه للرغبة والتحفيز في الاستمرار على النمط الذي بدأه، ولا مسكن مريح يساعده على تقديم الأفضل للنشء، ومرتب بالكاد يسد الضروريات[1].

إذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائيين تأسست على يد علماء الجزائر، فإن استمرارها وبقاؤها مرهون بالمعلمين، فهم « العصب المدبر لهذه الحركة المباركة»[2]، لهذا توجب على الجمعية، وأولي الأمر من المجتمع، إنشاء جمعيات محلية تعنى بالماديات للمدارس وعلى رأس أولويات هذه الماديات تقديم مرتبات المعلمين ولو الحد الأدنى المضمون لهذه الفئة[3]. وبالرغم من الحالة الاجتماعية التي يشترك فيها غالبية المجتمع الجزائري من فقر وقلة المداخل المادية لأسر مما ينعكس سلب على المداخل المادية للجمعية، إلا أن الشيخ البشير يلح على ضرورة البحث عن أساليب جديدة لتدعيم هذه المداخل ، لتحس وضعية المعلم وسط مجتمعه، لهذا يخاطب القائمين على الجمعيات المحلية على ضرورة التعاون « عليَّ إيجاد موارد جديدة، ليتوفر لنا المال لنرفع به مرتبات المعلمين، ونرفع به أقدار العلم والتعليم»[4]، فالحالة المادية البائسة التي يتخبط فيها المعلم، وغلاء المعيشة وكثرة المتطلبات، قد تكون النتائج وخيمة ومخيبة للآمال، وهذا يظهر في المستوى التعليمي عند الطلاب حيث أن يظهر في التعليم أثر الجوع والهزال[5]، فلا نرجو من النشء الكثير وقد ذاق معلمه طعم الخصاصة.

ومن خلال هذا العرض الوجيز للنظرة الإبراهيمية عن المعلم الكفء والناجح، يتضح لنا أن الشيخ البشير الإبراهيمي برغم روحه الشرقية، وولعه باللسان العربي، إلا أنه كان يمتلك حس فلسفي استشرافي استطاع من خلاله بلورة تصور عن أنموذج المعلم والمدرسة يصلح للمدرسة الجزائرية،

[1] – آثار المصدر الإمام البشير الإبراهيمي، الجزء الثالث، ص277.
[2] – المصدر نفسه، ص 277.
[3] – المصدر نفسه، ص278.
[4] – المصدر نفسه، ص280.
[5] – المصدر نفسه، ص279.

وهذا ما عكفت عليه جمعية العلماء المسلمين في بناء مدرسة تعتز بهويتها العربية الإسلامية، ومواكبة لكل مستجد على المستوى المعرفي مدرسة تبني جيل قادر على حمل مشعل التغير. إن هذا الاهتمام الذي يوليه الشيخ البشير الإبراهيمي للأصول وللأسس العلمية التربوية: من المعلم إلى المادة العلمية إلى الطريقة والمنهجية الكفيلة في بناء ذلك الجسر التواصلي بين المعلم والمتعلم من جهة وبين المعلم والمجتمع، وإن هذا لدليل خريت على النظرة السديدة والفكر الصائب الذي يتمتع به الشيخ والذي جعله يضع اللبنة الصلبة لبناء العقلية المتحررة لدى التلاميذ والطلبة الجزائريين خاصة، وطلبة من المشرق العربي. قدم الشيخ البشير نموذج المعلم الذي يحتاجه الوطن وتعلق عليه الآمال، في غرس الفضائل ومحاربة كل انحراف سلوكي أو عقائدي عند النشء ونجاحات الجمعية في نشر التعليم العربي واللغة العربية شاهدة على ذلك، وهذا بالرغم من الجهود التي قام بها المستدمر لطمس الهوية العربية للأمة الجزائرية، كما أن استمرار التعليم المنتهج من طرف الجمعية استمر حتى بعد الاستقلال ممثلا في معاهد التعليم الأصلي.